يدخل الانتاج الفني ــ الادبي التاريخ ، ويمتلك قوة مستمرة ، اي يصبح كونيا ، عندم يقدم صورة صحيحة لوعي زمانه . ولا تتأتى هذه الصورة عن رسم اعتباطي للواقع ، بل عن قدرة الفنان على اختيار عناصر ذات دلالة ، عناصر تعبر عن المنحى العام لحركة المجتمع ، وصياغتها فنيا . ان الشعر والعمل الفني بشكل عام لا يصبحان كونيان الا بقدر ما هما محليان ، فلا تعني الكونية التوجه الى الانسان بشكل عام ، او الى انسان المستقبل ، بل تعني عكس الواقع بكل خصائصه المحلية المحددة تاريخيا خلال بنيان فني .

ينطلق الابداع الفني من تربة محددة ، ويصبح كونيا عندما يعطي وثيقة فنية عن هذه التربة ، فلا تنتج كونيته والحالة هذه من عدم تحدده (انسانية غائمة) بل تنتج بالعكس من خلال تحدده ،وقدرته على ايصال ذاته الى مجتمعه والى البشرية جمعاء كوثيقة ادبية متميزة ، اي مرتبطة بواقع محدد تاريخيا ، فالكونية هي التميز . بمعنى اخر ، ان الكونية غير المحددة اجتماعيا وتاريخيا كونية زائفة ، كونية ميتافيزيقية تنطلق من جوهر انساني ميتافيزيقي لا وجود له . اما الكونية الحقيقية فهي التي تعبر عن واقعها وتصل الى البشرية جمعاء ، فهي من ناحية تقوم على واقعها ، مصدر تميزها ، وتحمل في ذاتها خصائص انسانية شمولية . او بشكل اخر فان شكلها الفني يحمل صفات انسانية شاملة (التعبير عن ما هو انساني بشكل عام) لكن مضمونها واساسها الفكري مرتبط بواقعها الاجتماعي المعاش . فكلما تميز العمل الفني اصبح كونيا . وليس هناك اي تناقض بين التميز والكونية ، فالكونية هي التميز .

ان الكونية الحقيقية هي كونية التميز ، اما الكونية اللامتميزة فهي زائفة ومضللة ، وليست « كونيتها » الا هروبا من واقعها وعجزا عن فهم هذا الواقع والتعبير عنه ، وتصبح بذلك مجرد « كونية » صوفية مبهمة بدون اي مضمون محدد .

فالفنان الحقيقي يخلق في انتاجه موضوعا ماديا مشخصا ، ويبقى هذا الموضوع حيا لانه حقيقة جمالية موضوعية (٢)

اننا لا ننطلق هنا من موقف انساني غائم ، موقف بلا تحديد ، بل بالعكس تماما ننطلق من رؤية علمية للانتاج الفني . فليس هذا الاخير بالنسبة لنا الا التعبير عن وعي اجتماعي محدد تاريخيا ، وبذلك نبتعد كثيرا عن هؤلاء الذين يعتبرون الفن بكل اشكاله تعبيرا عن نزوة فردية ، او صورة لفردية متميزة . فالقيمة الفنية تستمد قيمتها هذه من ارتباطها بمجتمع موجود وبعلاقات اجتماعية موجودة ، فهي لا توجد قبل وجود هذه العلاقات الاجتماعية ، ولا قبل الظرف التاريخي الذي تعكسه ، فهي تصدر منه وتعبر عنه وتعود اليه ، والا فقدت قيمتها ، معنى ذلك انها تعكس **شيئا موجودا** يمنحها موضوعيتها .

يجب ان نشير بعد ذلك الى امرين :

١ ــ ان القيمة الجمالية للصورة الفنية المعبرة عن واقع ما ، تتحدد بقدرتها على عكس الواقع فنيا ، تملك العالم جماليا ، في ليست وثيقة تاريخية ــ اجتماعية ، بل وثيقة جمالية لشرط تاريخي ــ اجتماعي محدد . فنحن لا نفهم الواقع من خلال الصورة الفنية ، بل نحسه ونعيشه جماليا ، لانها لا تشرح الواقع بل تشير اليه والى مميزاته بخصائصها النوعية .

والصورة الفنية تتشكل من وحدة تركيبية تتضمن الحسي والعاطفي والعقلي ، ولا تفرض نفسا على الذات (الانسان) من خلال عقلانيتها بل قدرتها على تحريض عواطف الانسان ومشاعره . ولا يتذوق هذا الاخير الصورة الفنية عند فهمها ، لكنه « يفهمها »